# أثر رحلة امرئ القيس إلى إستانبول في شعره

# İMRUÜLKAYS'IN İSTANBUL'A YAPTIĞI YOLCULUĞUN ŞİİRİNE OLAN ETKİSİ

# THE EFFECT OF IMRUULKAYS' JOURNEY TO ISTANBUL ON HER POETRY

MAHIEDDIN RACHID
DR. ÖĞR. ÜYESİ
ATATÜRK ÜNİVERSİTESİ İLAHİYAT FAKÜLTESİ
eras27708@gmail.com

**ملخص:**

تميز الأدب الجاهلي بكثرة ظهور الشعراء، وقد لَقِيتْ أشعارُهم اهتماما كبيرا في كل العصور حتى أن العرب كانوا يعلقون قصائد بعض الشعراء على جدارن الكعبة إظهارا لتعظيمها وبيانا لمكانتها، وقد كان امرؤ القيس ممن علقت قصيدته المشهورة (قِفا نبك) على جدار الكعبة. وكان متوقد الفهم، أشعر شعراء العرب، ووالده كان أميراً على بني أسد فقتلوه، فحمل على كتفه الثأر لأبيه. قاتلهم في عدة مواضع ثم عزم على المسير إلى ملك الروم قيصر يستنجده ويطلب العون منه. وقد قمت في هذا البحث بدراسة الأشعار التي تتعلق بهذه الرحلة دراسة تحليلية لأقف على الأحداث التي عاشها الشاعر امرؤ القيس أثناء رحلته، ولأدرس الأثر الذي تركته هذه الرحلة في شعره، هل طرأ على منهجه الشعري أي تغيير؟ وقد توصل البحث إلى أن موت أبيه ترك أثراً كبيراً في شعره، فقد تغيرت حياته جذريًا بعد مقتل والده، حيث ترك حياة الترف واللهو والصيد ومغامراته العاطفية والتشبيب بالنساء وانطلق في رحلة للثأر واستعادة ملكه، مما أثرى تجربته الحياتية والشعرية بشعر يأخذ طابع الثأر والانتقام. وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التحليلي من خلال دراسة النصوص الشعرية وتحليل مضامينها، وربطها بالأحداث التاريخية التي أثرت على تجربة امرؤ القيس الشعرية والإبداعية، بهدف تقديم رؤية شاملة عن شعره الذي يتعلق برحلته إلى قسطنطينية.

**الكلمات المفتاحية:** الأدب العربي، الشعر، امرؤ القيس، إستانبول، أنقرة.

***Öz:***

*İslam öncesi edebiyatın öne çıkan özellliklerinden bir tanesi şairlerin çok olmasıydı. Ayrıca bu şairlerin şiirleri her dönemde büyük ilgi görürdü. Araplar onları yüceltmek maksadıyla ve saygılarının bir göstergesi olarak bazı şiirleri Kabe'nin duvarlarına asarlardı. İmruülkays'ın, ünlü şiiri "Kıfâ Nebki" de Kabe'nin duvarına asılan şiirlerden biriydi. Zeki, anlayış bakımından kabiliyetli ve Arapların en iyi şairlerindendi. Beni Esed'in lideri olan babası öldürüldükten sonra intikamını almak için babasının katilleriyle birkaç defa savaştı. Sonra yardım istemek için Roma Kralı Sezar'a gitmeye karar verdi. Çalışmamızda şair İmru'l-Kays'ın bu yolculuğu sırasında yaşadığı olayları tahlil etmek, bu yolculuğun şiirinde bıraktığı etkiyi incelemek ve şiirsel uslubunda bir değişiklik olup olmadığını ortaya çıkarmak amacıyla bu yolculuğumda kaleme aldığı şiirleri incelemeye çalıştık. Araştırma, babasının ölümünün İmru'ul-Kays'ın şiirlerinde derin bir etki bıraktığını ortaya koymaktadır. Babasının öldürülmesinin ardından hayatı köklü bir şekilde değişmiş, lüks, eğlence, avcılık ve kadınlara olan ilgisini bir kenara bırakarak intikam almak ve kabile liderliğini geri kazanmak için bir yolculuğa çıkmıştır. Bu durum, şiirlerini intikam ve öç alma temalarıyla zenginleştirmiştir. Bu çalışmada, şiir metinlerini inceleyerek ve içeriklerini analiz ederek, İmru'ul-Kays'ın şiirsel ve yaratıcı deneyimlerini etkileyen tarihsel olaylarla bağlantı kurmayı amaçladım. Özellikle, onun İstanbul'a olan yolculuğuyla ilgili şiirlerine dair kapsamlı bir bakış açısı sunmayı hedefledim.*

***Anahtar kelimeler:*** *Şiir, İmruülkays, Arap edebiyatı, İstanbul, Ankara.*

***Abstract:***

*Pre-Islamic Arabic literature is notable for its rich tradition of poetry and the significant esteem poets held within Arab society. Notably, some poets achieved such prominence that their works were celebrated by being displayed on the walls of the Kaaba, reflecting both respect and admiration. Among these was the celebrated poet Imru' al-Qays, renowned for his sharp intellect, deep insight, and status as one of the most distinguished poets in Arab literary history. Following the assassination of his father, the prince of the Banu Asad tribe, Imru' al-Qays devoted himself to avenging his father's death. His quest for justice involved engaging in battles against his father's killers and later seeking the support of the Roman Emperor. This study examines the life events of Imru' al-Qays, focusing on his journey and its influence on his poetic output. Through an analysis of his poetry, the research explores how his father's death marked a turning point in his life, steering him away from indulgence and leisure toward a path defined by vengeance and political ambition. This transformation significantly impacted his poetic themes, infusing his works with motifs of revenge, resilience, and retribution. The study employs a textual analysis of Imru' al-Qays's poetry, correlating historical events with his creative expressions. Special attention is given to the poems associated with his journey to Constantinople, offering a nuanced understanding of the interplay between his personal experiences and his literary evolution. The findings highlight the profound impact of his quest for justice on his poetic style and thematic focus, contributing to a deeper appreciation of his legacy in pre-Islamic literature.*

***Keywords:*** *Poetry, Imruulkays, Arabic literature, Istanbul, Ankara.*

| MAKALE TÜRÜ<br>ARTICLE TYPE | GELİŞ TARİHİ<br>RECEIVED | KABUL TARİHİ<br>ACCEPTED | YAYIN TARİHİ<br>PUBLISHED | ORCID NUMARASI<br>ORCID NUMBER |
|---|---|---|---|---|
| Araştırma Makalesi/Research Article | 08.08.2024 | 09.09.2024 | 31.12.2024 | 0000-0002-0104-588X |

| İNTİHAL/PLAGIARISM | DOI NUMARASI/DOI NUMBER |
|---|---|
| Bu makale intihal tarama programıyla taranmıştır.<br>This article has been scanned via a plagiarism sofware. | https://doi.org/10.62188/ilahiyat.1530197 |

**ATIF/CITE AS**

Rachid, Mahieddin. "İmruülkays'ın İstanbul'a Yaptığı Yolculuğun Şiirine Olan Etkisi / The Effect of Imruulkays' Journey to Istanbul on Her Poetry" . *ilahiyat 13* (Aralık/December 2024): 111-135.

**مقدمة**

**سوف نتعرف على الرحلة التي قام بها امرؤ القيس إلى القسطنطينية من خلال دراسة الأشعار التي قالها أثناء الرحلة، ومعرفة الظروف المحيطة به وبمن معه، ومعرفة آراء القدماء والمحدثين في رحلته، والإلمام بأخبار شاعرنا امرئ القيس. وإذا نجحتُ في تحليل هذه الرحلة من خلال أشعاره؛ فهذا يعني توثيق رحلة الشاعر إلى القسطنطينية وتصحيح الآراء الزائفة أو البعيدة عن الصواب حول ما دار الحديث عنه قديماً وحديثاً من سرد لأخبار متعارضة، فبعضهم يقول مات مسموماً والآخر ينفي ذلك، وبعضهم يقول مات بمرض الجدري، والبعض يقول التقى بملك الروم والآخر ينفي لقاءه له، فهذه الأخبار المتعارضة تحتاج للتمحيص والتدقيق، لكننا نقرُّ بأنّ الجميع يعترف بهلاكه في ديار الغربة، وأنه مات في أنقرة، وهذا ما تؤكده السلطات هناك بعد اكتشاف قبره في تلة خِضِرْلِكْ (Hıdırlık Tepesi) في أنقرة.**

**١.١. حياة امرؤ القيس**

**اسمه حُنْدج بن حجر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر، (ت: ٥٤٥م) وقد وردت أسماء مختلفة لامرئ القيس في كتب الأدب؛ فقد سمي مُلَيْكة وعديًّا وحُنْدجًا، أما الكنية فيُكنى بأبي وهب وأيضا بأبي زيد أو أبي الحارث، ويلقب بالملك الضليل[١] وبذي القروح، وأشهر ألقابه امرؤ القيس، ومعنى القيس رجل الشدة لما أصابه من تضعضع الدهر[٢]، والقيس من أصنام العرب في الجاهلية، كانوا يعبدونه، وينتسبون إليه. وامرؤ القيس من قبيلة كندة، ومن بيت السيادة فيها، وهي قبيلة يمنية، كانت تقع في غربي حضرموت[٣] وهناك من يزعم أن كندة قبيلة عدنانية، لكن هذا غير صحيح، والدليل أننا نجد في أسماء أعلام قبيلة كندة، نفس الأسماء اليمنية، مثل شرحبيل ومعد يكرب ابْنَيْ الحارث[٤]. ويذكر بعض المترجمين له أن أمه هي فاطمة بنت ربيعة بنت الحارث، أخت كليب والمهلهل[٥]، فلقَّنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام[٦]، ولكن هذا القول فيه نظر؛ لأن امرأ القيس ذكر في شعره خالا له يدعى ابن**

[١]. سمي بالضليل: لاضطراب أمره طول حياته، وسمي بذي القروح بسبب القروح التي أصابته في مرض موته. انظر: خير الدين الزركلي، *الأعلام*، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م)، ١١/٤.

[٢]. محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ١٨٧/٦.

[٣]. الزركلي، *الأعلام*، ١١/٢؛ أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، (بيروت: دار صادر، ط٣، ٢٠٠٨م)، ٥٩/٩؛ شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي*، (القاهرة: دار المعارف، ط١١، ١٩٦٠-١٩٩٥)، ٢٣٦؛ يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري المعروف بالأعلم، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيارات من الشعراء الجاهلي*، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٩٨٣م)، ٥/١-٦.

[٤]. شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي*، ٢٣٢.

[٥]. الأصفهاني، *الأغاني*، ٥٩/٩؛ جلال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق فؤاد علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م)، ٤٠٤/٢.

[٦]. الزركلي، *الأعلام*، ١١/٢؛ حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٢م)، ١٥.

كبشة[٧]، فلو كان كليب والمهلهل خاليَه لما كان استنكف من ذكرهما، وهما من عُرف محلهما في الشرف والشجاعة[٨]!!

كان أبوه حجر بن الحارث ملكاً على أسد وغطفان، فعاش امرؤ القيس في ترف ونعيم، وكان غزّالاً ميالاً بطبعه إلى اللهو، مستغرقاً بحب الشهوات طالباً اللذات[٩]، وذكر ابن قتيبة أنه كان يشبّب بنساء ويذكرهن في شعره، منهنّ فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية، ومنهنّ أمّ الحارث الكلبيّة، ومنهنّ، عنيزة، لهذا عدَّه ابن قتيبة من عشاق العرب وزناتها[١٠] وكان ذكياً متوقد الفهم، وقد وضعه ابن سلام في طبقته الأولى[١١]، ولعل السبب في ذلك أنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء مثل: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورِقَّةِ النسيب[١٢]، أضف إلى ذلك أنه كان أحسن أهل طبقته تشبيهاً، وهو أول من لطَّف المعاني، ومن استوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء، وشبَّه الخيل بالعقبان، وفَرَّق بين النسيب وما سواه من القصيدة[١٣]، فهو يمثِّل نموذج الإنسان المقبل على الحياة بنهم وشهوة جارحة وحرية مطلقة في مواقعة الشعر والتغني به[١٤].

**٢,١. سبب طرده وتشرده وتصعلكه:**

شب امرؤ القيس وكبر وصار يعاشر صعاليك العرب، فخبر أبوه بذلك فنهره عن ذلك فلم يستمع فأبعده إلى منطقة في حضرموت اسمها دمُّون، وهذه المنطقة هي موطن آبائه وعشيرته، وكان عمره آنذاك قرابة العشرين فأقام في دمُّون خمس سنين تقريبا، بعد ذلك بدأ ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو[١٥]، وفي رواية أخرى أنه لما تعلم الشعر بدأ بنظمه فنهاه أبوه عن ذلك، لكن لم يكفّ عن قول الشعر، فنفاه أبوه، وأبى أن يقيم معه أنفة من قول الشعر[١٦]، وهناك رواية أخرى لسبب طرده وهو تغزله بفاطمة وكان عاشقًا لها، فكان يسير مع أخلاط من شذَّاذ بعض القبائل العربية مثل طيئ وكلب وبكر بن وائل ويتجول في أحياء العرب، فإذا وجد موضع صيد أو روضة أو غديرًا أقام فيه، فذبح لأصدقاءه، فأكلوا وشربوا الخمر، وغنت لهم القيان، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير، ثم ينتقل عنه إلى غيره[١٧].

---

[٧]. والبيت هو: خالي ابنُ كَبشَةَ قد عَلِمَت مكانَهُ ... وَأَبُو يَزِيدَ وَرَهْطُهُ أَعْمَامي، انظر: ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط٥، د/ت)، ١١٨.

[٨]. الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ١٥.

[٩]. الشنتمري، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*، ٦/١.

[١٠]. ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ)، ١/ ١٢٢.

[١١]. ابن سلام، *طبقات فحول الشعراء*، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٤م)، ٥١.

[١٢]. ابن سلام، *طبقات فحول الشعراء* ٥٥؛ ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١٢٨/١.

[١٣]. السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*،٢/ ٤٧٩؛ ابن سلام، *طبقات فحول الشعراء*، ٥٥؛ الزَّوزني، *شرح المعلقات السبع*، ١٧.

[١٤]. أحمد عمارة: *دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وذوق*، (مكتبة المتنبي، د/ت)، ٢٣٠.

[١٥]. الزركلي، *الأعلام*، ١٢/٢.

[١٦]. الشنتمري، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*، ٦/١؛ الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ١٨.

[١٧]. الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ١٨.

**٣,١. مقتل والد امرئ القيس:**

**كان حجر أميراً على قبيلة بني أسد، وكان يفرض عليهم إتاوة في كل عام، فبعث مرة إليهم الجابي لأخذ الضريبة، فمنعوه ذلك، وحجر يومئذٍ كان بتهامة، وضربوا الجباة، وضرحوهم ضرحًا شديدًا قبيحًا، فبلغ الخبر حجرًا، فخرج إليهم بجيش كبير، حتى أتاهم، وأسر ساداتهم وأشرافهم، فجعل يقتلهم بالعصا، فعُرِفُوا بعبيد العصا، وقد أباح الأموال، وأخذهم إلى تهامة، ثم حبس أشرافهم، وبعد فترة من الزمن رقَّ لهم، فاستكانوا له وأطاعوه نفاقاً، حتى إذا وجدوا منه غفلة تكاثروا عليه فقتلوه، وقد ترك حجر أولادًا أكبرهم نافع، وأصغرهم امرؤ القيس،[١٨]، وقد وصل خبرُ مقتل أبيه وهو بدمُّون، فقال قولته الشهيرة: "تطاول الليل علينا، دَمُّون ... دَمُّون! إنا معشرٌ يَمَانُون، وإننا لأهلنا مُحِبُّون"[١٩].**

**وقال أيضًا:**

**خليليَّ ما في الدار مصحىً لشاربٍ ولا في غَد إذ ذاك ما كان مشربُ**

**ثم قال عدة أقوال أصبحت مثلا[٢٠] منها: ضيَّعني أبي صغيرًا وحَمَّلني دمه كبيرًا، ومنها: لا صحوَ اليوم، ولا سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر، ومنها: اليوم قحاف، وغدًا نِقاف[٢١].**

**مما سبق يتبين لنا أن حياة امرئ القيس تغيرت كثيراً بعد مقتل أبيه، فقد ترك اللهو وحرم على نفسه ما اعتاد عليه من اللذات حتى يأخذ بثأر أبيه. فأعد العدة وبدأ يطلب المساعدة من أبناء عمومته من اليمن وقبائلها كما طلب العون من أخواله بني ربيعة[٢٢]، فتبعته قبيلتا بكر وتغلب، ونقل ابن كثير عن الكلبي "أن امرأ القيس أقبل يوما برایاته يريد قتال بني أسد قاتلي أبيه، فمَرَّ بتَبَالَة[٢٣] وبها صنم يسمى ذو الخَلَصَة[٢٤]، وكانت العرب تستقسم عنده، فاستقسم امرؤ القيس، فخرج القدح بالنهي عن القتال، ثم الثانية ثم الثالثة كذلك خرج النهي، فكسر القداح، وضرب بها وجه الصنم ذي الخَلَصَة، ثم قال لو كان أبوك المقتول لما عوقتني ومنعتني، ثم أغار على بني أسد فقتلهم قتلا ذريعا"[٢٥]، وقد كثرت الجرحى والقتلى فيهم، وقد حجز الليل بينهم، فهربت بنو أسد، فلمَّا أصبحت بكر**

[١٨] . الأصفهاني، *الأغاني*، ٦٢/٩؛ الزَّوزني، *شرح المعلقات السبع*، ١٧؛ الشنتمري، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*، ١٠/١.

[١٩] . الأصفهاني، *الأغاني*، ٦٦/٩.

[٢٠] . الأصفهاني، *الأغاني*، ٦٦/٩؛ الزَّوزني، *شرح المعلقات السبع*، ٢٢؛ الشنتمري، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*، ٦/١.

[٢١] . القحاف، الواحد قحف: وهو إناء يشرب فيه. النقاف: المناقفة: أي اليوم شرب بالقحاف، وغدًا نضرب هامة العدو.

[٢٢] . الأصفهاني، *الأغاني*، ٦٨/٩.

[٢٣] . موضع ببلاد اليمن، وبين تبالة ومكة اثنان وخمسون فرسخا نحو مسيرة ثمانية أيام انظر: ياقوت الحموي شهاب الدين بن عبد الله الرومي: *معجم البلدان*، (بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م)،٩/٢.

[٢٤] . الكعبة اليمانية التي بناها أبرهة بن الصباح الحميري، وكان فيه صنم يدعى الخلصة فهدم، انظر: ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ٣٨٣/٢.

[٢٥] . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: *البداية والنهاية*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٩٧م)، ٢٧٠/٣.

وتغلب في اليوم التالي أَبَوْا أن يتبعوه، وقالوا له: قد أصبت ثأرك، وانصرفوا عنه وتركوه[٢٦]، لكن هو يرى أنه لم يشتف من بني أسد.

**٤,١. شعره:**

حظي شعر امرئ القيس بنصيب وافر من عناية العلماء المتقدمين، ومنه كانت شواهد النحو والبلاغة، وقد شارك في تدوين شعره كبار الشعراء، كالأصمعي والمفضَّل الضبي، وكان الفرزدق أروى الناس لأحاديث امرئ القيس، وفي موريتانيا حتى يومنا هذا، يحفظ الصبيان شعر امرئ القيس، أو مقداراً كبيراً منه، وذلك لأهميته[٢٧]. وقد ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، وهو أحد الأربعة الذين وقع الاتفاق على أنهم أشعر شعراء العرب: امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى، وقد اختلفوا في أيهم أشعر وأحسن ديباجة شعر، وأكثر الأدباء والنقاد على أنه امرؤ القيس، وقد قال لبيد: أشعر الناس ذو القروح، وقال الفرزدق: كان الشعر جملاً فنحر، فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه.[٢٨]

**١,٤,١. الأسباب التي دفعت الشاعر التوجه نحو القيصر لمساعدته:**

أ – تتمة الثأر: فقد تخلت عنه قبيلتي بكر وتغلب بعد أن قتل من بني أسد قتلاً ذريعاً، كما مر معنا سابقاً، لكن امرأ القيس لم يشتف من بني أسد، فكان هذا سبباً في طلب المساعدة من إمبراطور القسطنطينية.

ب. إعادة الملك: إضافة للثأر فقد كان امرؤ القيس يهدف إلى استعادة ملك أبيه، ليصبح مسموع الكلمة مطاعاً في منطقة واسعة الأرجاء، تضم العديد من القبائل[٢٩]، وهو هدف أسمى من الثأر، لأنه قد ثأر لأبيه فعلاً، وقتل من بني أسد الكثير، ويدل على ما قلناه هذا البيت الذي يخاطب فيه صديقه عمرو بن قميئة[٣٠]:

فَقُلتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّمَا  نحاوِلُ مُلْكاً أوْ نموتَ فَنُعْذَرَا

ج. وقوف القبائل ضده: ولعل السبب الأهم من الرحلة إلى القسطنطينية هو أنَّ القبائل العربية تخلوا عنه بعد قتل الآلاف من بني أسد؛ وهناك سبب آخر وهو ما فعله المنذر بن جابر، فقد جهز المنذر جيشاً كبيراً يطلب امرأ القيس حيا أو ميتا[٣١]، فهرب امرؤ القيس لاجئاً إلى رجل يدعى المعلى وهو أحد بني تيم[٣٢]، ولم ينجه من الملاحقة

[٢٦]. الأصفهاني، *الأغاني*، ٦٨/٩؛ الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ٢٥؛ شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي* ٢٣٩.
[٢٧]. الطاهر أحمد مكي: *امرؤ القيس حياته وشعره*، (القاهرة: دار المعارف، ط٦، ١٩٩٣م)، ١٠٤.
[٢٨]. الشنتمري، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*، ٢١/١.
[٢٩]. مكي: *امرؤ القيس حياته وشعره*، ٩١.
[٣٠]. ديوان امرئ القيس، ٦٦.
[٣١]. الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ٢٧.
[٣٢]. الأصفهاني، *الأغاني*، ٧٠/٩؛ الزَّوزني، *شرح المعلقات السبع*، ٢٩.

إلا دخوله في ملك الروم، وكانت بلاد الشام آنذاك تابعة لقيصر بيزنطة، وقد ذكر امرؤ القيس ذلك في شعره مادحاً المعلى الذي أجاره، ومنعه من المنذر[٣٣].

كَأَني إذْ نَزَلْتُ عَلى المُعَلّى نَزَلْتُ عَلى البَوَاذِخِ مِنْ شَمَامٍ[٣٤]
فَمَا مَلِكُ العِرَاقِ عَلى المُعَلى بِمُقْتَدِرٍ وَلا مَلِكُ الشّآم

ثم ترك المعلى وذهب إلى رجل من بني فزارة يسمى عمرو بن جابر، وأخبره بأن المنذر يتبعه يطلب رأسه، فدله على السموأل بتيماء؛ فلجأ امرؤ القيس إليه[٣٥].

د ـ وثمة سبب آخر ذكره الطاهر أحمد مكي وهو تشويق الحارث الغساني له، وهو أن امرأ القيس ربّما فكّر خلال إقامته في بني فزارة أن يطلب العون والمدد من إمبراطور بيزنطة، ولعله سمع عنه كثيراً، وقد يكون الذهاب إلى قيصر اقتراحاً من مجيره الفزاري، وقوّاه الحارث الغسّاني. ولا غرابة في ذلك، لوجود هدف مشترك يجمع بينهما، فكان الغساسنة، ممثلو بيزنطة في الشام، أعداء ألداء للمناذرة في الحيرة، وقد كان للمناذرة – بمعاونة الفرس– الدور الكبير في تحطيم ملك كندة، وملاحقة امرىء القيس، الأمر الذي جعل كلمتهم هي النافذة بين القبائل الضاربة في شرق الجزيرة الشمالي ونجد، وكان للغساسنة وبيزنطة مصلحة عامة في دعم امرىء القيس لاستعادة سلطانه، كي يصبح شوكة في حلق المناذرة خصومهم التقليديين[٣٦]. لعل هذه الأسباب دفعت الشاعر إلى التوجه نحو القيصر لمساعدته، وأعتقد أنه في طليعة من توجه إلى ملك رومي.

**٢,٤,١. مسار الطريق والوساطة:**

ظل امرؤ القيس شريداً يتنقل بين أمراء العرب هربا من المنذر كما رأينا سابقاً حتى نزل أخيراً على السموأل، والسموأل هذا له منزلة خاصة عند أمير الغساسنة بالشام الحارث الغساني، فطلب امرؤ القيس من السموأل أن يكتب إلى الحارث الغساني ليوصله إلى قيصر عظيم الروم وليمهد له السبيل للسفر إلى القسطنطينية، ويطلب المعونة منه ليعيد ملكه، فأجاب السموأل طلبه، ووجه امرأ القيس إلى الحارث الغساني، مزوداً إياه برسالة شفاعة كي يتوسط له عند القيصر. بعد ذلك استودع امرؤُ القيس عند السموأِل بنتَه هندًا والأدرعَ والمالَ وما كان معه

٣٣ . ديوان امرئ القيس، ١٤٠؛ الزَّوزني، *شرح المعلقات السبع*، ٢٩.
٣٤ . الباذخ: المرتفع من الجبال. شمام: اسم جبل

٣٥ . الأصفهاني، *الأغاني*، ٧٢/٩؛ شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي* ٢٣٩؛ الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ٢٩.
٣٦ . مكي: *امرؤ القيس حياته وشعره*، ٨٧.

من سلاح، وقد أقام مع ابنته هند يزيد بن الحارث بن معاوية ابن عمه، واختار له رفقاء من أجل السفر ذكر منهم في شعره مثل جابر بن حُنَيّ التغلبي وعمرو بن قميَّة.[٣٧] ويمكن أن نتناول موضوع المرافقين له بشيء من التفصيل:

. المرافقين له في الطريق:

المرافق الأول: عمرو بن قميئة: وهو من بني قيس ابن ثعلبة، ويعتبر من قُدماء الشعراء في الجاهلية، وكان عمرو صديق أبي امرئ القيس حُجْر، وقد لَقِيه امرؤ القيس في آخر عُمره، فأخرجه معه إلى قَيْصر في بلاد الروم، لكنه مات معه في طريقه، وقد سَمَّتْه العربُ عَمْراً الضائع؛ لموته في غُرْبة وفي غير أَرَب ولا مَطْلب[٣٨]، وإليه أشار بقوله:[٣٩]

أرَى أُمَّ عَمرٍو دَمْعُهَا قَد تحدّرَا بُكَاءً على عَمرٍو وَمَا كان أصْبَرَا
إذا نَحْنُ سِرْنَا خَمسَ عَشرَةَ لَيلَةً وَرَاءَ الحِسَاءِ من مَدافع قَيْصَرَا

المرافق الثاني: جابر بن حُنَيّ التغلبي: وإليه أشار بقوله:[٤٠]

فَإمّا تَرَيْنِي في رِحَالَةِ جَابِرٍ على حَرَجٍ كالقَرّ تخفِقُ أكفَانِي[٤١]

ولعل جابر هذا هو من نقل لنا أشعاره التي قالها أثناء سفره إلى قسطنطينية.

المرافق الثالث: الحارث بن حبيب السّلميّ، لكنه لم يكمل أيضاً الرحلة، فمات في الطريق قرب بصرى الشام، وقد رثاه امرؤ القيس في بيتين من ديوانه:[٤٢]

ثَوَى عِندَ الوَدِيّةِ جَوْفَ بُصْرَى أبُو الأيْتَامِ وَالكَلِّ العِجَافِ[٤٣]
فَمَنْ يَحْمي المُضافَ إذا دَعَاهُ ويَحمِلُ خُطّةَ الأنَسِ الضِّعَافِ[٤٤]

وقد كان معه على التأكيد آخرون من أهله ومعاونيه ورفاقه وخدمه، فقد كان أميراً قادماً على إمبراطور.[٤٥] وأما بنته هند، فقد بقيت عند السموأل مع ابن عمها يزيد بن الحارث بن معاوية.

[٣٧] . الأصفهاني، *الأغاني*، ٩/٧٤؛ الشنتمري، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*، ١/٦؛ الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ٣٠؛ شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي* ٢٣٩؛ جرجي زيدان، *تاريخ آداب العربية*، (القاهرة: *دار الهلال*، ١٩٥٧م)، ٩٣.

[٣٨] . جواد علي: *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، د/ت)، ٣/ ٣٧٠.

[٣٩] . ديوان امرئ القيس، ٦٩.

[٤٠] . ديوان امرئ القيس، ٩.

[٤١] . الحرج: سرير كالنعش. القر: مركب للنساء يشبه الهودج.

[٤٢] . ديوان امرئ القيس، ٣٤٧.

[٤٣] . ثوى: أقام. الودية: النخلة الصغيرة. العجاف: الهزلى.

[٤٤] . المضاف: ساحة الحرب. خطّة: طريقة

[٤٥] . مكي: *امرؤ القيس حياته وشعره*، ٨٧.

**٥,١. القصائد التي تتحدث عن رحلته**

**عُنِيَ الرواة بجمع ديوان امرئ القيس وتدوينه عناية لم يظفر بها شاعر من قبله، فرواه حماد، وأبو عمرو الشيباني، والأصمعي، والمفضل الضبي، وخالد بن كلثوم وابن السكيت ثم صنعه أبو سعيد السكري من جميع الروايات، وأصح الروايات التي روت لنا ديوان امرئ القيس هي رواية الأصمعي والمفضل الضبي. وقد تضافرت جهود العلماء على شرح ديوانه وتفسيره وبيانه، منهم الأصمعي، والطوسي، وأحمد بن حاتم، والأعلم الشنتمري وغيرهم.** [٤٦].

**وقد وُجِدَت في ديوان امرىء القيس أربع قصائد ومقطوعات تتصل بالرحلة إلى قيصر، الأولى والثالثة والرابعة رواها الأصمعي والمفضَّل الضّبيّ، أما القصيدة الثانية فقد جاءت في زيادات ملحق الطوسي، ولم يوردها المفضل والأصمعي، ونسبها غيرهما إلى امرىء القيس، ويوجد مقطوعة تفرّد بها الضبيّ، وهناك مقطوعتان من زيادة السكّري على غيره من الرواة.**

**١,٥,١. القصيدة الأولى التي تتعلق برحلة امرئ القيس إلى عظيم الروم:**

**عدد أبيات هذه القصيدة ٥٤ بيتاً وهي القصيدة الرابعة في الديوان، وقد رواها الأصمعي والمفضل الضبي**[٤٧]**، والظاهر أنه قالها وهو في طريقه إلى قيصر، وكالعادة بدأ القصيدة بمقدمة طللية طويلة تتناسب مع موضوع الرحلة، فقد اشتد شوقه لصاحبته بعد بُعْد الديار فذكرها بغزل وقور وحيي على غير العادة، فكما هو معلوم أنه يستخدم في شعره الغزل الصريح والغزل الحسي، فيتناول وصف الجمال الجسدي للمرأة بشكل مباشر ومفصل، لكن وبعد رحلة طلب الثأر بدأ يرق في أسلوبه الشعري، وهذه إشارة إلى دخوله مرحلة جديدة من حياته، فقد طوى مرحلة اللهو والغزل الماجن والخمرة وبدأ بمرحلة الجد والعزيمة، وهذا أول أثر من آثار الرحلة في تغيير اتجاه الشاعر ونزعته، يقول في هذه المقدمة:**[٤٨]

**سَما لَكَ شَوقٌ بَعدَما كانَ أَقصَرا وَحَلَّت سُلَيمى بَطنَ قَوٍّ فَعَرعَرا**[٤٩]
**كِنانِيَّةٌ بانَت وَفي الصَدرِ وُدُّها مُجاوِرَةٌ غَسّانَ وَالحَيُّ يَعمُرا**[٥٠]

**ثم انتقل بعد ذلك بالحديث عن أهله الصالحين الذين أحبهم، فوصف حاله والسفر والغربة وكانت هذه الذكرى في منطقتي"خَمَلَى" و"أَوْجَر" في بلاد الشام وقد أصبحت ديار المحبوبة بعيدة، يقول:**[٥١]

[٤٦] . ديوان امرئ القيس، ٧.
[٤٧] . ديوان امرئ القيس، ٥٦.
[٤٨] . ديوان امرئ القيس، ٥٦.
[٤٩] . قوٍّ وعرعر موضعان.
[٥٠] . بانت: بَعُدَت. كِنانة قبيلة من مضر، ويعمر من كِنانة. وغسان من قبائل اليمن.
[٥١] . ديوان امرئ القيس، ٦١.

تَذَكّرْتُ أهْلي الصّالحينَ وَقد أتَتْ  على خَمَلى خُوصُ الركابِ وَأوْجَرَا

وهكذا كلما ابتعد عن الديار وحلَّ ببلدة تحركت عواطفه وحن قلبه لوطنه ولمحبوبته، يقول:[٥٢]

فَلَمّا بَدَتْ حَوْرَانُ في الآلِ دونها  نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُر بعَينِك منظَرَا
تَقَطّعَ أسبَابُ اللُّبَانَةِ وَالهَوَى  عَشِيّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةً وَشَيْزَرَا

وهنا بدأت التجربة الصعبة التي أثرت عليه نفسيًا وعمّقت فهمه للحياة، مما انعكس ذلك على شعره، فقد أصبح أكثر تأملًا وحساسية تجاه مشاعره، ما دفعه إلى التعبير عن الألم والفقدان بشكل أكثر رقّة وشجنًا.

وقد ترك الشاعر أرض الجزيرة العربية أرض الصحراء وتوجه إلى جنان وأنهار، وكان من المفروض أن تتدفق منه مجموعة من المشاعر العميقة والمترابطة، والتي تعكس تأثير الطبيعة الجميلة والمفعمة بالحياة على وجدانه، لكن كل هذا لم يحصل؛ لأنه لما دنا امرؤ القيس من "حَوْران" جنوب دمشق لم يرَ شيئاً يعجبه؛ فالبلاد لا يوجد فيها شيء يُذَكِّرُه بالحبيبة، وبدأ يأس لقاء الأحبة يخيم على قلبه كلما بَعُدَ عن الوطن، وأيقن حين وصل بلدة حماة في سوريا انقطاع أسباب الوصل والمودة للأهل والأحبة، فجدوا السير مسرعين طمعاً في إنجاز ما خرجوا لأجله والعودة إلى أحبتهم، ونتج عن هذه السرعة الجهد للإبل المسنّة، فكان كل من تخلف من هذه الإبل المسنّة لا ينتظره. يقول:

بسَيرٍ يَضُجُّ العَوْدُ مِنْهُ يَمُنُّهُ  أخوا الجَهدِ لا يلوِي على من تَعَذّرَا[٥٣]

ورغم هذه الأحداث التي ألمت به أثناء السفر حاول أن يتناسى هذه المصاعب وذلك بذكر النساء اللواتي كُنَّ على الهوادج الخضراء المرتفعة التي تشبه شجر الأثل في الطول واللون في وادي الأعراض، يقول: [٥٤]

ولَم يُنْسِني ما قَدْ لَقِيتُ ظَعَائِناً  وَخَمْلا لها كالقرِّ يَوْماً مُخَدَّرَا[٥٥]
كأَثْلٍ من الأعرَاض من دون بَيشَةٍ  وَدونِ الغُمَيرِ عامِدَاتٍ لِغَضْوَرَا[٥٦]

ولم يهمل في هذه الأثناء الواسطة التي تحمله في السفر وهي الناقة التي جعل منها رفيقة سفره وصديقته في الترحال وقد كان تصويره للناقة دقيقًا ومفصلاً يجمع بين القوة والسرعة والتحمل، وذلك بما يتناسب مع الرحلة الطويلة

[٥٢] . ديوان امرئ القيس، ٦١.
[٥٣] . العود: الجمل المسن. يمنّه: يضعفه.
[٥٤] . ديوان امرئ القيس، ٦١.
[٥٥] . الخمل: الظعينة. القرّ: الهودج.
[٥٦] . الأثل: نوع من الأشجار. الأعراض: الأودية. بيشة والغمير وغضور مواضع فيها ماء يقام عليها.

التي أقدم عليها. ثم بدأ يفتخر بنفسه بأنه وفيٌّ بما قطع على نفسه من عهد بالثأر والانتقام، وصابر على الأهوال وتبعات هذا العهد. يقول:[٥٧]

فدَعْ ذا وَسَلِّ الهمَّ عنكَ بجَسْرَة ذَمُولٍ إذا صَامَ النَّهارُ وَهَجّرَا[٥٨]
عَلَيها فَتَىً لم تحْمِلِ الأرضُ مِثْلَهُ أبَرَّ بِمِيثَاقٍ وَأوْفَى وَأصبرَا

إن موضوع وفاءه قابل للنقاش، فقد اختلفت تصرفاته في الوفاء، فتارة يفي وتارة لا، فقد كان يحب التنقل بين النساء دون التزام دائم تجاه واحدة منهن، لكن رحلة الثأر جعلته أكثر وفاء مما سبق، وقد ظهر هذا الوفاء بالعهد عندما أخذ على عاتقه الثأر لأبيه ووفى به.

ثم يذكر أنه باستطاعته أن يستعين بقبائل من حمير لقتال بني أسد، وقد سبق أن واجههم في وادي ناعط وقتل منه الآلاف، لكن رجح الاستنجاد بالروم لكونهم أقوى جيشاً وعتاداً وليكسر شوكة كل من سوَّلت نفسه بالاعتداء على قبيلة كندة ويضمن بالتحالف مع الروم قوة كبيرة في الجزيرة العربية، ويثبت ملكه وملك نسله من بعده. يقول: [٥٩]

هُوَ المُنْزِلُ الآلافَ من جَوّ ناعِطٍ بَني أسَدٍ حَزْناً من الأرضِ أوْعرَا[٦٠]
وَلوْ شاءَ كانَ الغزْوُ من أرض حِميَرٍ وَلَكِنّهُ عَمْداً إلى الرّوم أنْفَرَا[٦١]

إن استنجاد القبائل العربية بغير العرب كان شائعًا في العصر الجاهلي، خاصة في سياق الصراعات والحروب التي كانت القبائل العربية تواجهها، سواء داخل الجزيرة العربية أو في المناطق المجاورة. هذا الاستنجاد كان ينبع من عدة أسباب، أبرزها العصبية القبلية: أي الولاء المطلق للقبيلة ما أدى إلى عدم وجود نظام سياسي يوحد القبائل. التنافس القبلي على الموارد مثل الماء والمراعي، وكذلك على النفوذ والسيطرة في مناطق معينة. الفخر الذي كانت تتباهى به القبيلة. لكن يبقى السؤال مطروحا هل هذا من الأخطاء التي ارتكبتها القبائل العربية آنذاك؟

ثم يلتفت امرؤ القيس لوصف حال صديقه عمرو بن قميئة، وكان شيخاً كبيراً، وقد شقَّ عليه المسير والغربة وقد أيقن عمرو أنه لاحق بالقيصر وصائر إليه عندها بكى حنيناً إلى بلاده التي أصبحت بعيدة عنه، فقام امرؤ القيس

[٥٧] . ديوان امرئ القيس، ٦٣.
[٥٨] . الجسرة: الناقة التي تقوى على السير. الذمول: السريعة.
[٥٩] . ديوان امرئ القيس، ٦٥.
[٦٠] . أوعر: صعب.
[٦١] . أنفر: أسرع.

بتسليته وبدأ يُطيّبُ خاطره ويخفّف من آلامه وأحزانه ويَعِدُه بأن يسير سيرا شديدا حتى يصل الديار في زمن قصير إن استجاب له القيصر وعاد من عنده بجيش عظيم. وإن لم يستجب فيكون قد عُذِرْنا، يقول:

بَكى صَاحِبي لمّا رأى الدَّرْبَ دُونه وأيقنَ أنا لاحِقَانِ بقَيْصَرَا
فَقُلتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّمَا نحاوِلُ مُلْكاً أوْ نموتَ فَنُعْذَرَا
وَإني زَعِيمٌ إنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً بسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الفُرَانِقَ أزْوَرَا[٦٢]

لقد كان امرؤ القيس شاعرًا بارعًا في تخفيف آلام أصدقائه من خلال كلمات المواساة والحنان التي يبثها في شعره. هذه القدرة على مواساة الآخرين وتخفيف آلامهم هي جزء من شخصيته الشعرية.

إن ذهاب امرئ القيس إلى بلاد الروم ثابت من خلال هذه الأبيات، ولم تكن هذه القصيدة مجرد خيال أو لوحة فنية. خاصة وأنه نظم شعراً حول الطريق الوعرة الذي لم تُسْلَك من قبلُ، وحول المدن التي مر بها مثل بعلبك وحمص وتاذف وقذران[٦٣]، يقول: [٦٤]

على لاَحِبٍ لا يُهْتَدَى بمَنارِهِ إذا سافَهُ العَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرْجَرَا[٦٥]
لَقَدْ أَنْكَرَتْني بَعْلَبَكُّ وأَهلُها وَلابنُ جُرَيْجٍ في قُرَى حِمْصَ أَنكَرَا

إن هذه الطريق غير معروفة لم يسلك أحد فيها لذا لا يوجد فيه آثار طريق كي يهتدى بها، بل إذا شمّه الإبل الضخم أصدر صوتا وضج لمشقته وصعوبة المسير فيه. وكذلك المدن أنكرته ولم تعرفه. في غربة الطريق وإنكار المدن له بعد مُضِيّ خمس عشرة ليلة من المسير في بلاد الروم، بدا له بكاء أم عمرو على ابنها شوقا عليه مع أنها كانت صابرة قبل فراقه. يقول: [٦٦]

أرَى أُمَّ عَمرٍو دَمْعُهَا قَد تحدّرَا بُكَاءً على عَمرٍو وَمَا كان أصْبَرَا
إذا نَحْنُ سِرْنَا خَمسَ عَشرَةَ لَيلَةً وَرَاءَ الحِسَاءِ من مَدافع قَيْصَرَا[٦٧]

٦٢ . الفُرانق: الأسد. أزور: المائل الذي يسير في جانب من شدة السير.
٦٣ . تاذف وقذران مواضع قرب حلب.
٦٤ . ديوان امرئ القيس، ٦٦.
٦٥ . اللاحب: الطريق. سافه: شمّه. العَوْدُ النباطي: الجمل الضخم. جرجر: ضج.
٦٦ . ديوان امرئ القيس، ٦٩.
٦٧ . الحِساء: هي الأماكن السّهلة المنخفضة التي يستنقع فيها الماء.

ثم يغدو به الشوق فيتذكر صاحباته مثل أم هاشم وابنة يشكر البسباسة فيقول:

لَهُ الوَيلُ إِن أَمسى وَلا أُمُّ هاشِمٍ قَريبٌ وَلا البَسباسَةُ اِبنَةَ يَشكُرا

ثم يختم قصيدته بالحديث عن المعارك التي خاضها مع أناس غرباء لا يعرفهم في تادف وقُذاران بقرب حلب وقد كان هو وأصحابه في تلك المناطق على حذر وقلّة طُمَأْنينة كأنهم على قرن ظَبْي، يقول:[٦٨]

ألا رُبّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَد شهِدْتُهُ بتَاذِفَ ذاتِ التَّلّ من فَوْق طَرْطَرَا[٦٩]
وَلا مِثْلَ يَوْمٍ في قُذَارَانَ ظَلْتُهُ كأني وَأصحابي على قَرْنِ أعْفَرَا[٧٠]

لقد امتنع امرؤ القيس في هذه القصيدة عن ذكر الخمر أو الغزل الحسي على غير عادته؛ لأن موضوع القصيدة ذات طابع جدي وتأملي، تركز على مشاعر الشوق والفراق والاعتبار بالحياة والموت. هذه المواضيع تتطلب أسلوبًا أكثر تأملًا وروحانية، بعيدًا عن الملذات الحسية التي قد تُشتت التركيز عن مضمون القصيدة العميق. وهذا ما أحدثته الرحلة من تغيير في أسلوب الشاعر، وهذا التغيير في المنهج يدل على قدرة الشاعر على التنقل بين الموضوعات بأسلوب راقٍ، وأنه ليس محصورًا في إطار معين من الشعر.

**٢,٥,١. القصيدة الثانية التي تتعلق بالرحلة:**

وهي من زيادات الطوسي،[٧١] ولم يروها الأصمعي ولا المفضّل الضبيّ، ولم أجدها عند الأعلم الشنتمري، وقد أثبتها ابن قتيبة والبغدادي وحسن السندوبي، واستشهد بها ابن منظور في لسان العرب بعدما نسبها لامرئ القيس.[٧٢] وإن صحت نسبتها لأمرئ القيس فهي دلالة واضحة على لقاء امرؤ القيس ملكَ الروم، ولعل عدم وجودها عند الأصمعي والمفضّل الضبيّ، والشنتمري هو من جعل طائفة من الأدباء والمؤرخين[٧٣] ينفون لقاءَه ملكَ الروم، ويجيبون على هذه القصيدة:

١. بأنها لا تصح نسبتها لامرئ القيس.

[٦٨] . ديوان امرئ القيس، ٧٠.

[٦٩] . طرطر من قرى حلب.

[٧٠] . الأعفر: الظبي بياضه حُمرة.

[٧١] . ذكرها محمد أبو الفضل إبراهيم في قسم زيادات الطوسي، انظر: ديوان امرئ القيس، ٢٥١.

[٧٢] . ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١/ ١٢٠؛ عبد القادر بن عمر البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، ١٩٩٧م)، ٨/ ٥٤٩؛ حسن السندوبي: *شرح ديوان امرئ القيس*، راجعها أسامة صلاح الدين، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط١، ١٩٩٠م)، ٩٧-٩٨؛ ابن منظور، *لسان العرب*، ١٣/ ٥٥٨.

[٧٣] . مثل: جواد علي وبروكلمان وجرجي زيدان، وحسن السندوبي، والطاهر أحمد مكي محمد وحسين سلمان جمعة. انظر: حسين سلمان جمعة، رحلة امرئ القيس إلى القسطنطينية بين الواقع والخيال، *مجلة التراث العربي*، سوريا، العدد ٣٤، (يناير ١٩٨٩م): ٩٤.

**٢ . مَن نقل إلينا أخبار الشاعر وشعره هو جابر بن حُنَيّ التغلبي، فكيف يستقيم له أن ينقل شعره صادقاً ويخفي عنا أخبار لقاءه بقيصر؟**[٧٤]

**وتتألف القصيدة من ٢٠ بيتاً بدأها بتذكر الأيام القديمة وابنته هندا وأقرانها والأعمال التي قام بها أثناء شبابه التي كان لا يطيع فيها الحكماء والعقلاء، وإنما يتبع الغواة والجهلاء من الشباب**[٧٥].

**أَأَذْكَرْتَ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعودا ... فَهَاجَ التّذَكُّرُ قَلْباً عَمِيدَا**[٧٦]
**وأيامَ كنتَ بها معجباً ... تطيعُ الغَوِيَّ وتَعصي الرشيدا**
**تَذَكّرْتَ هِنْداً وَأَتْرَابَهَا ... وأزمان كنتَ لها مستقيدا**[٧٧]

**ثم ذكر الحوادث الصعبة التي لم يسبق له أن مَرَّ بمثلها، فهي تُنْسِي الجليدَ الحياءَ، وقد قارن هذه الحوادث فيما مضى من العز والإباء والتمرد. يقول:**[٧٨]

**فإن يكن دهرٌ أتى دونه ... حوادث تُنْسِي الحياءَ الجليدَا**
**فقد كنتَ فيما مضى مُصْعَباً ... أَبِيَّ الخِطام عزيزاً مَرِيداً**

**لقد أدت هذه الحوادث إلى تحول جذري في حياة الشاعر، إذ انتقل من الانغماس في ملذات اللهو والمجون إلى التفاعل مع قضايا الحياة والموت والقدر، مما جعله يعيش تجربة أكثر جدية وواقعية. وهذا من تداعيات الرحلة الشاقة التي انعكست بجلاء في أسلوب شعره.**

**ثم يعرج على لقاءه بملك الروم (قيصر) وقد أكرمه الملكُ ونادمه، وجعل له وجهاً ومكانة عند الناس واستمده فوعده بذلك، فركب خيل البريد وأخذ يسابق رُكّاب خيل البريد الآخرين معبّراً عن فرحه بأن ما تمناه لقيه مستعداً للحرب لابساً لدروعها، راكباً المقدامَ من الخيل المُعَدِّ جيداً. يقول:**[٧٩]

**وَنَادَمتُ قَيْصَرَ في مُلْكِهِ ... فأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيدَا**[٨٠]
**إذا ما ازْدَحَمْنَا على سِكَّةٍ ... سَبَقْتُ الفُرَانِقَ سَبْقاً شَدِيدَا**
**وقد أتمنى فألقى المُنى ... وقد يصبح الليل عندي حميدا**

٧٤ . جمعة، *رحلة امرئ القيس إلى القسطنطينية بين الواقع والخيال*، ٩٥.
٧٥ . ديوان امرئ القيس، ٢٥١-٢٥٢.
٧٦ . عميد: حزين.
٧٧ . المستقيد: الذي يعطي القياد من نفسه.
٧٨ . ديوان امرئ القيس، ٢٥٢.
٧٩ . ديوان امرئ القيس، ٢٥٢.
٨٠ . ركبت البريد: أي ركبت خيل البريد.

وألبَسُ للحرب أثوابها وأركب للروع طِرفاً عتيداً[٨١]

ثم ينهي قصيدته هذه بوصف ساحات المعركة والفوارس والأسلحة مما لا علاقة له بلقاء بالملك، وقد رويت قصص عارية عن الصحة حول منادمة الملك لامرئ القيس، فقد ذكر القصاص أنه أحب ابنة القيصر، فاستعظم الملك فعل امرئ القيس الدخيل الذي قدم طالباً عونه ومدده[٨٢]. وهناك رواية أخرى ذكرها ابن قتيبة أنه دخل امرؤ القيس الحمام مع القيصر، وقد رأى الشاعر الملك أقلف غير مختون، وقال بيتان ليسا في الديوان وإنما ذكرهما ابن قتيبة:[٨٣]

إني حلفت يميناً غير كاذبة أنك أقلف إلا ما جلا القمرُ
إذا طعنت به مالت عمامته كما تجمع تحت الفلكة الوبر

ويتساءل هنا حسين سليمان جمعة كيف يدخل الملك مع امرئ القيس عارياً وتثور حميته عليه في الوقت نفسه حينما أحب ابنته؟[٨٤] فلو كان ذو شرف وغيرة على ابنته لما دخل معه عاريا فهو أولى بالشرف والغيرة.

قد تكون هذه القصص الموضوعة سببًا في رفض بعض الأدباء لقاء امرؤ القيس بملك الروم بشكل قاطع. ومع ذلك، فإن رفضنا لهذه القصص لا يعني بالضرورة رفض كامل القصيدة، خاصةً وأن الطوسي قد رواها دون أن نجد فيها الأبيات الشعرية التي تدل على القصص المختلقة، مما يعزز يقيننا برفض قصة الحمَّام والتغزل بابنة الملك.

ومن خلال هذه القصيدة تَبَيَّن لنا موقفين من الأخبار الواردة في حق رحلة امرئ القيس إلى القسطنطينية وكيفية موته:

الأول: يثبت وصوله إلى الملك ووعده له بالدعم استنادًا إلى نسبة هذه القصيدة إلى امرئ القيس، ويزعمون أن وفاته كانت بسبب الحلة المسمومة التي قدمها الملك لامرئ القيس.

والثاني: من ينكر وصوله ويشكك في صحة نسبة هذه القصيدة إلى امرئ القيس، ويؤكد أن هلاكه كان قبل لقائه الملك بسبب مرض قديم عاد إليه من جديد.

وبناءً على ذلك، يفسر كل فريق ما يأتي من بقية الأشعار المتصلة برحلته وفقًا لرأيه. وسيأتي ذكر ذلك بالتفصيل.

**٣,٥,١. القصيدة الثالثة التي تتصل برحلة امرىء القيس إلى قيصر:**

[٨١]. أثوابها أي الدروع. الروع: الفزع. الطِّرف: الكريم من الخيل. العتيد: الذي يُتَّخَذ ويُتَقَدَّم في اتخاذه كأنه عتاد وعدة.

[٨٢]. ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١/١١٠؛ الأصفهاني، *الأغاني*، ٩/٧٤.

[٨٣]. ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١/١١٠.

[٨٤]. جمعة، رحلة امرئ القيس إلى القسطنطينية بين الواقع والخيال، ٩٤.

وهي أقصر من الأولى والثانية، عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً، رواها الأصمعي والمفضل الضبي[٨٥] وقد قالها وهو قرب أنقرة وهي تشرح لنا ما ألمَّ به من المرض. وقد بدأ القصيدة بمقدمة طللية قصيرة تتصل بصلب موضوع القصيدة يبين من خلالها غربته وبعده عن الديار، ثم ينتقل إلى الداء الذي أصابه، يقول في المقدمة:[٨٦]

ألِمَّا على الرَّبْعِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا كأَنِّيَ أُنادِي أَو أُكَلِّمُ أَخْرَسا
فلو أنَّ أَهْلَ الدارِ فيها كعَهدِنَا وجدتُ مَقيلاً عندهمْ ومُعَرَّسَا
فلا تُنكِروني إنَّني أَنَا ذاكُمُ لَيالِيَ حَلَّ الحَيُّ غَوْلاً فَأَلْعَسَا

أصبح بعيداً عن دياره في بلاد تنكره ولا يوجد من يخفف من آلامه ويواسيه في مصابه. ثم يعالج موضوع المرض الذي منعه من الرقاد ودفعه إلى السهر في ظلمة الليل لا نديم ولا خليل. ولم يكن السهر شوقًا للقاء الحبيبة كعادته، ولا الحزن على فراق الأهل والديار، بل كان نتيجة الآلام والأمراض التي أصابته، وهو ما اقتضته المرحلة الجديدة من حياته. وقد عكس شعره هذا التغيير بوضوح. يقول[٨٧]

فإمّا تَرَيْني لا أُغَمّضُ سَاعَةً من اللّيلِ إلّا أنْ أكبَّ فَأنْعَسَا
تَأوّبَني دَائي القَدِيمُ فَغَلَّسَا أُحَاذِرُ أنْ يَرْتَدّ دائي فأُنْكَسَا

وهنا يذكر امرؤ القيس نوعين من المرض قد أصاباه: الأول، ويُعزى إلى الحلة المسمومة بسبب وشاية الطماح[٨٨] وفقًا لرأي من يثبتون لقاء امرؤ القيس بملك الروم. أما وفقًا لرأي من ينفون هذا اللقاء، فيُعزى المرض إلى غربته عن أهله والفترات التي يقضيها الإنسان بمفرده، حيث يتذكر همومه وآلامه. أما المرض الثاني فهو داء قديم أصيب به في دياره وقد عاوده في بلاد الغربة.

ثم يتابع الشاعر حديثه عن المرض الذي طال أمده، حيث كان يأمل أن يتعافى منه، لكن الحياة قست عليه. لم يكن يخشى قسوة الحياة بحد ذاتها، بل كان يخاف من عجزه عن القيام بمهامه اليومية، مثل ارتداء ملابسه. يتمنى لو أن الموت يأتي مرة واحدة، بدلاً من أن يموت شيئًا فشيئًا. وقد تبدلت صحته بالجروح والآلام، وحلَّ البلاء، وبدأت نفسُه تتساقط تدريجيًا وكأنها تتألف من عدة أنفس. وهذا تصوير بليغ لطول عذاب النفس عند الاحتضار، يقول:[٨٩]

[٨٥] . ديوان امرئ القيس، ١٠٥.
[٨٦] . ديوان امرئ القيس، ١٠٥.
[٨٧] . ديوان امرئ القيس، ١٠٥.
[٨٨] . وسيأتي ذكرها فيما بعد.
[٨٩]. ديوان امرئ القيس، ١٠٧.

وَمَا خِفْتُ تَبرِيحَ الحَياةِ كما أرَى تَضِيقُ ذِرَاعي أنْ أقومَ فألبَسَا
فَلَو أنّهَا نَفسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةٌ وَلَكِنّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أنْفُسَا
وَبُدّلْتُ قَرْحَاً دامِياً بَعدَ صِحّةٍ فَيا لكِ من نُعمَى تحَوّلنَ أبْؤسا

لم يكن يخطر بباله وهو يعيش حياة الترف والبذخ أن يصف الاحتضار، لأنه لم يكن قد ذاقه بعد. أما وقد عايشه أبدع في تصويره رغم ما عاناه من آلام وأوجاع. ثم يختم الشاعر القصيدة بالحديث عن سبب ما ألمَّ به، وهو يأمل أن تتبدل حاله ويَعقِب الفقر غنى والشدّة رخاء، وأن يطول عمره بعد المشيب، يقول[٩٠]:

لَقد طَمَحَ الطَّمّاحُ من بُعد أرْضِهِ لِيُلْبِسَني مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبّسَا
ألا إنّ بَعدَ العُدْمِ للمَرْءِ قِنْوَةً[٩١] وَبعدَ المَشيبِ طولَ عُمرٍ ومَلَبَسَا

في البيت الأول بيَّن الشاعر سبب ما أصابه، والذي كان سبباً في موته. وكما مر معنا، هناك رأيان: الأول يثبت وصوله إلى الملك قيصر ولقاءه به، ووعده بمساعدته، بينما الثاني ينكر وصوله أصلاً. وها أنا أعرض الرأيين لتوضيح سبب موته:

المثبتون يقولون: إن سبب ما أصابه هو إرسال الملك الحلة المسمومة له وقد طلب الملك منه أن يلبسها، ويذكرون أخباراً عديدة في سبب إرسال الملك الحلة المسمومة له:

الخبر الأول: أن قيصر منحه جيشًا كبيرا وفيهم جماعة من الأمراء وأبناء الملوك. فلما فصلَ عن استانبول، قال لقيصر قومٌ من أصحابه: إن العرب قوم غُدُر ولا نأمن أن يظفر هذا بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه.[٩٢]

الخبر الثاني: أنه اندسَّ رجل من بني أسد يقال له الطمّاح، وكان امرؤ القيس قد قتل أخًا له أثناء قتاله بني أسد، فلما سمع الطماح خبر رحلة امرئ القيس لملك الروم، فأتى الطماح بلاد الروم وأقام مستخفيًا، حتى وصل لقيصر وعمل على إيغار صدره، وقال لقيصر: إن امرأ القيس غويٌّ فاجر. وإنه لَمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك، وهو يُشَهِّرُ بها في العرب من خلال أشعار، فيفضحها ويفضحك.[٩٣]

[٩٠] . ديوان امرئ القيس، ١٠٨.

[٩١] . القنوة: غنى ونعمة.

[٩٢] . الأصفهاني، *الأغاني*، ٩/٧٤؛ الشنتمري، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*، ١/؛ الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ٣٠.

[٩٣] . الأصفهاني، *الأغاني*، ٩/٧٤؛ الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ٣٠؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي، *تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي*، (طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل المسيحية، ١٨٨٣م)، ١/٢٥٣.

**الخبر الثالث: أن امرأ القيس "امتدح قيصر ملك الروم يستنجده في بعض الحروب ويسترفده، فلم يجد ما يؤمله عنده فهجاه بعد ذلك، فيقال إنه سقاه سمّاً فقتله".[٩٤]**

**الخبر الرابع: أن بعض العرب ممن كان مع امرئ القيس ذكروا للقيصر أن امرأ القيس قال لقومه إنه كان يراسل ابنتك ويواصلها.[٩٥]**

**الخبر الخامس: أن قيصر زوَّجه ابنته، وأنها كرهته لأنه كان مفرَّكا[٩٦]، فلما دخلت عليه أبغضته، فلما أراد المسير دخلت على أبيها فقالت له: إن امرأ القيس يقول لئن غلب على عدوه ليعطفن عليك فيقتلك ويضم ملكه.[٩٧]**

**ونحن نرجح الخبر الثاني خبر الطماح وهو ما يذكره امرؤ القيس في شعره صراحة. فلما أغار الطماح صدر قيصر بعث إليه بحلةٍ مسمومة ذات قيمة منسوجة بالذهب وكتب له: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليُمْنِ والبركة، واكتب إليَّ بخبرك من منزلٍ منزل، فلمّا وصلت إليه الحلة واستحسنها لبسها في يوم صائف، فأصيب بالسم فتفطر جسده وتناثر لحمه. وهذا معنى واضح تجلى في هذا البيت:**

**لَقد طَمَحَ الطَّمّاحُ من بُعد أرْضِهِ لِيُلْبِسَني مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبّسَا**

**ثم يؤكدون وصوله ويدعمون قولهم بما ذكر في تواريخ الروم. فقد ذكرت وفادة أمير على القيصر يدعى قيساً، وتثبت الرواية أنه كان قد أوفد ابنه معاوية قبل قدومه إلى قيصر، وقد حثَّ القيصرُ والي اليمن وحليفه ملك الحبشة على إعانة ذلك الأمير العربي، وهو ما ذكره توتوز وبروكوب[٩٨]**

**النافون: في الجهة الأخرى يقف الذين نفوا لقاء امرئ القيس الملكَ ويفندون هذه الأخبار ويروذُّون عليها، فمن ردودهم:**

**١ . مسألة الحُلَّة لا أصل لها لتضارب هذه الأقوال السابقة.**

**٢ . لو كان القيصر يريد إهداءه شيئاً لقدّم إليه الهدية وهو عنده ولم يرسلها مع رسول بعد انفصاله عنه.**

[٩٤] . ابن كثير: *البداية والنهاية*، ٢٧١/٣.

[٩٥] . الشنتمري، *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*، ٧/١.

[٩٦] . أفرك البرُّ إذا اشتد في سنبله وبُرٌّ فريك، وهو الذي فُرِكَ ونقي، والفَرك: بغض المرأة زوجها، وهي امرأة فروك، وفارك، وجمعها فوارك، ورجل مفرك: يبغضه النساء. انظر: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، *تهذيب اللغة*، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م)، ١١٦/١٠.

[٩٧] . هي رواية انفرد بها ابن سهل، وقد ذكرها الطاهر أحمد مكي. انظر: مكي: *امرؤ القيس حياته وشعره*، ٩٠.

[٩٨] . الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ٣١.

**٣ . إن وشاية الطمَّاح لو تركت أثراً في نفس القيصر لما أقام له تمثالاً[٩٩]، وقد ذكر الزوزني: "أن ملك قسطنطينية لَمَّا بلغه وفاة امرئ القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه"[١٠٠] ومكان التمثال في أنقرة.**

**٤ . من المعروف أن قياصرة الروم كانوا يتودَّدون إلى العرب ويتألَّفونهم ليكونوا في جانبهم ضدَّ أكاسرة الفرس الذين كانوا معهم في نزاع دائم، فلِمَ يستمعُ إلى الواشي ويخسرُ حليفاً له في جزيرة العرب؟![١٠١]**

**٥ . أما جرجي زيدان فقد استنكر مدى فاعلية هذا السمّ في القتل، حيث قال: "ولا نعرف سمّاً يفعل هذا الفعل.[١٠٢]**

**٦ . أما بالنسبة لما كتب في تواريخ الروم فهم يرون أن هناك اختلاط وتشابه في الأسماء، إذ أن ملك الروم قد زاره من العرب الكثيرون فمنهم من يرى أن الذي ذكر في كتب الروم هو الأمير العربي الكندي قيس بن سلمة وهو ابن عم الشاعر امرئ القيس.[١٠٣]**

**ومنهم من يقول: "قد ورد عند بروكوبيوس اسم شخص يدعى قيسًا اقترن اسمه بغزو الحبشة لليمن سنة ٥٢٤ للميلاد، ويقال إن القيصر طلب منه أن يقود الجيوش ضد الفرس، وذكر نونوسوس أن جوستنيان كلفه بالسفارة لديه. ومن ثم ظن كوزان دي برسفال أن قيسًا المذكور عند هذين المؤرخين هو امرؤ القيس، وخاصة حين رآه يزور القسطنطينية، وأكبر الظن أن هذا مجرد تشابه في الأسماء".[١٠٤]**

**٧ . وأخيراً المقطوعة التي انفرد بروايتها السكّري والتي سنأتي على ذكرها، والتي يتحدث الشاعر فيها صراحة عن قروح ملأت بدنه وجعلته عاجزاً عن السير، وهي سبب موته حسب مكي.**

**بعد هذا نسأل النافين: ما هو شرحكم للطماح الذي ألبسه من داءه ما تلبس؟ فيجيبون على ذلك بعدة تفسيرات، منها:**

**الأول . قال الأصمعي: المقصود بالطماح هو قيصر، أي لقد نالني مما أصابني مِن البلاء مِن بُعْد أرضه.[١٠٥]وهو تفسير قوي ومحتمل، ومعلوم أن الأصمعي لم يرو القصيدةَ الثانية التي تثبت لقاء امرئ القيس القيصر.**

**الثاني: الظاهر من البيت الشعري أن الطمَّاح هو الذي أُصيب بداء الجدري وسرت العدوى منه إلى امرىء القيس فتأثر امرؤ القيس به تأثرا حتى قضي عليه. وهذا يظهر لنا سبب تسميته داءً ولم يسمّه سمّاً، وفي ذلك يقول امرؤ القيس:**

[٩٩] . السندوبي: *شرح ديوان امرئ القيس*، ٣٤.

[١٠٠] . الزَّوْزَنِي، *شرح المعلقات السبع*، ٣٢.

[١٠١] . السندوبي: *شرح ديوان امرئ القيس*، ٣٤.

[١٠٢] . زيدان، *تاريخ آداب العربية*، ٩٤.

[١٠٣] . جمعة، *رحلة امرئ القيس إلى القسطنطينية بين الواقع والخيال*، ٩٤.

[١٠٤] . جواد علي: *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ٣٨٣/٣ – ٣٨٦.

[١٠٥] . أبو سعيد السكري: *شرح ديوان امرئ القيس*، تحقيق أنور عليان أبو سويلم ومحمد علي الشوابكة، (الإمارات العربية– العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م)، ٥٥٢.

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبِسَني من دَائِهِ ما تَلَبَّسَا

ويعلّق صاحب هذا الرأي على البيت الأول بقوله: "عبَّر عن العدوى بالإلباس ولذلك سمّاه داءً. وقال: ما تلبسا، يريد ما أُصيب به في هذا الداء. ولعل الرواة قد أخذوا بظاهر اللفظ فتوهموا أن هناك حلة تلبس".[١٠٦]

وهذا جواب بعيد ولا يصح؛ لأن الطماح من بني أسد الذين قاتلهم امرؤ القيس وهم أعداؤه، فكيف تم اللقاء بينهما؟ وكيف انتقلت العدوى إليه؟؟

الثالث: الشك أن يكون كلمة الطماح هنا تدل على اسم علم اعتماداً على بيت من الشعر ورد في قصيدة موثقة لامرئ القيس دون أن يكون إلى جانب الشعر خبر آخر يفسر هذه الإشارة ويوضح شخصيته، فالطماح في البيت ليست علماً على شخص وإنما هي صيغة من طمح، كناية عن رجل عدوّ لامرئ القيس فحسب.[١٠٧]

إن عدم تفسير هذا الشخصية بأخبار أخرى هو أمر طبيعي، لأن شخصية الطماح كانت معروفة لديهم ولا تحتاج إلى تعريف من خلال أبيات شعرية أخرى.

٤,٥,١. القصيدة الرابعة:

هي أقصر من الأولى وأطول من الثانية، وعدد أبياتها ١٧ بيتاً، وهي القصيدة التاسعة في الديوان، رواها الأصمعي والمفضل الضبي[١٠٨]، وهي لا تتعلق بالرحلة إنما تتعلق بالموت، وقد قالها في أنقرة، بعد مقدمة طللية قصيرة وصف حاله وهو يحمل على على سرير رفيقه في السفر جابر بن حُنَيّ التغلبي في رِحالتِه وقد أنهكه المرض وضعف جسمه واتسعت ملابسه حتى أن الريح بدأت تحركها، وهذا أبلغ تصوير لنحولة الجسم وضعفه. يقول:[١٠٩]

فإمّا تَرَيْني في رِحالَةِ جَابِرٍ على حَرَجٍ كالقَرِّ تَخفِقُ أَكْفَاني

لكن لم يمنعه هذا الحال من تذكر أيام شبابه وقوته وشجاعته. كم من محاصرٍ من قبل العدو كان يرجع إليه فيدافع عنه، وكم من أسيرٍ فداه بماله ففكّ وثاقه وأطلق سراحه، وكم وكم من المواقف البطولية الأخرى، يقول:[١١٠]

فيا رُبَّ مَكْروبٍ كَرَرْتُ وراءَه وعانٍ فكَكْتُ الغُلَّ عنه فَفدّاني

وفِتْيانِ صِدْقٍ بَعَثْتُ بسُحْرَةٍ فقاموا جميعاً بين عاثٍ ونَشْوَانِ

[١٠٦]. السندوبي: *شرح ديوان امرئ القيس*، ٣٤.

[١٠٧]. مكي: *امرؤ القيس حياته وشعره*، ٩١.

[١٠٨]. ديوان امرئ القيس، ٩٠.

[١٠٩]. ديوان امرئ القيس، ٩٠.

[١١٠]. ديوان امرئ القيس، ٩٠-٩١.

ثم يتابع القصيدة في وصف الحصان إلى النهاية بأبيات لا تتعلق بالرحلة.

وبعد تناول القصائد، أستعرض المقطوعات التي ترتبط برحلة شاعرنا:

**٥,٥,١. المقطوعة الأولى**

تفرَّد بهذه المقطوعة المفضَّل الضَّبّي[١١١] ولم يشاركه الأصمعي في روايتها، وقد جاء ترتيبها (٤٦) في الديوان، وعدد أبياتها ثمانية، وهي بدون مقدمة طللية، بدأها بأمنية يتمنى تلبيتها وهي إبلاغ قومه بما حلَّ به فهو قد فعل ما عليه من السعي وراء الانتقام والثأر لأبيه وقومه لكن الموت حال دون ذلك، وهذا حال البشر وهو من البشر وليس من الحجر أو الحديد، يقول:[١١٢]

| | |
|---|---|
| ألا أَبْلِغْ بَنِي حُجْرِ بن عمرٍو | وأبْلِغْ ذلك الحيَّ الْحَرِيدَا |
| بأنِّي قَدْ بَقِيتُ بقاءَ نَفْسٍ | ولم أُخْلَقْ سِلاماً أو حَدِيدَا |
| فَلَوْ أنيّ هَلَكْتُ بدارِ قَوْمي وَلَكِنِّي | لَقُلْتُ الموتُ حَقٌّ لا خُلُودَا |
| هَلَكْتُ بأرْضِ قَوْمٍ | بَعِيدٍ مِنْ دِيَارِكمُ بَعِيدا |

إن امرأ القيس هلك في أرض بعيدة عن بلاده في بلاد الغربة، وهذا موت قبل موت، وكم تمنى أن يموت بين أهله وجيرانه، لقد فني عمره في طلب المُلْكِ كل يوم، ولم تتحقق هذه الآمال، وحري بمن كان المُلْكُ مطلبه أن يتعقبه الموت في كل خطوة فكيف بمن كان في الغربة وأدركه الموت فلا قريب يواسيه، ولا طبيب يداويه، ولا صديق يعوده في مرضه. يقول:[١١٣]

| | |
|---|---|
| أُعَالِجُ مُلْكَ قَيْصَرَ كُلَّ يَوْمٍ | وأجدِرْ بالمنيّةِ أن تَعُودا |
| بِأَرْضِ الرُّومِ لا نَسَبٌ قريبٌ | وَلا شافٍ فَيُسْنِدَ أوْ يَعُودا |
| وَلَوْ وَافَقْتُهنَّ عَلَى أُسَيْسٍ | ضُحَيّاً أو وَرَدْنَ بنا زَرُودا |
| عَلَى قُلُصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ | أزِمَّتُهنَّ ما يَعْدِفْنَ عودا[١١٤] |

[١١١] . ديوان امرئ القيس، ٢١٣.

[١١٢] . ديوان امرئ القيس، ٢١٣.

[١١٣] . ديوان امرئ القيس، ٢١.

[١١٤] . القُلُص: جمع قلوص، وهي الفتية الأنثى من الإبل. وما يعدفن: أي ما يأكلن.

لقد كان وفيا لعهده وقام ما بوسعه من أجل الانتقام لكن الأقدار أبت عليه أن يحقق رغبته فنكبه بأبيه وبأصدقائه وأخيراً بنفسه ولا أدلَّ على ذلك من هذا البيت "أُعالج ملك قيصر كل يوم.." فهو ما يزال يجهد للوصول إلى ملك الروم وهيهات أن يتحقق له ما يريد "وأجدر بالمنية أن تعودا[١١٥]."

**٦,٥,١. المقطوعة الثانية**

وهي عبارة عن أربعة أبيات، انفرد بروايتها السكّري، وجاء ترتيبها (٨٠) في الديوان، قالها الشاعر وهو في أنْقِرة وذكر فيها مرضه وما أصابه، ويقول الطاهر بأنها تنقض جميع الأقوال التي نسجت عن موته بالحلّة المسمومة، لأن الشاعر في هذه المقطوعة يتحدث صراحة عن قروح ملأت بدنه وجعلته عاجزاً عن السير كما لو أنه كان مصاباً في مفاصله، وتكاثرت هذه القروح حتى أوهنت قواه وأضعفت حركته، فصار والحالة هذه يرى كل ثوب يلبسه – ولو كان جديداً– قديماً خَلِقاً قد لُبِس دهراً، وقد تناثرت الدمامل على بشرته فصارت كأختام طبعت على صحيفة.[١١٦]، يقول:[١١٧]

لِمَنْ طَلَلٌ دَاثِرٌ آيُهُ تَقَادَمَ في سَالِفِ الأَحْرُسِ
فإمّا تَرَيْنِيَ بِي عُرَّةٌ كَأَنِّيَ نَكيبٌ من النِّقْرِسِ
وَصَيَّرَنِي الْقُرْحُ في جُبَّةٍ تُخَالُ لَبيساً وَلَمْ تُلْبَسِ
تَرَى أَثَرَ القُرْحِ في جِلْدِهِ كَنَقْشِ الخَواتِمِ في الجِرْجِسِ

وقد انفرد السكّري أيضاً برواية الأشطر الأربعة التالية، وجاء ترتيبها (٩٤) في الديوان، وقد قالها الشاعر وهو بأنقرة أيضاً، وهو آخر ما نظمه ثم مات حسب ابن الكلبي .[١١٨] يقول امرؤ القيس:[١١٩]

رُبْ طَعْنَةٍ
مُثْعَنْجِرَهْ
وجَفْنَةٍ مُتَحَيِّرَهْ
وقَصِيدةٍ مُحَبَّرَهْ
تَبقَى غَداً بأَنْقِرهْ

[١١٥] . جمعة، *رحلة امرئ القيس إلى القسطنطينية بين الواقع والخيال*، ٩٣.
[١١٦] . مكي: *امرؤ القيس حياته وشعره*، ١٠٢.
[١١٧] . ديوان امرئ القيس، ٣٣٩.
[١١٨] . ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١١١/١.
[١١٩] . ديوان امرئ القيس، ٣٤٩.

وزاد أبو سهل البيتين التاليين في مخطوطته، وترتيبهما (٩٧) في الديوان؛ قالهما عند احتضاره:[١٢٠]

أَجارتَنا إنَّ المَزارَ قريبُ وإنِّي مُقِيمٌ ما أَقامَ عَسِيبُ
أَجارتَنا إنَّا غَرِيبانِ هَاهُنا وَكُلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسيب

ويذكر بعض الرواة في مناسبة هذين البيتين أنَّ امرأ القيس رأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقرة، فدفنت في سفح جبل يقال له عَسيب، فسأل عنها، فخبِّر بخبرها؛ فقال البيتين ثم مات.[١٢١]

ويذكر ابن العديم أن عسيباً جبل عظيم عال بقيصرية من الروم، وموت امرئ القيس في أنقرة وهي أنكورية، والبلدان متباعدان بينهما مسيرة، وإنما ذكر عسيب، لأنه جبل عظيم ببلاد الروم، أراد: إني مقيم بها ما أقام عسيب.[١٢٢]

ويروي له أبو سهل[١٢٣] عند موته أيضاً بيتين ترتيبهما (٩٨) في الديوان، يذكر فيهما أن الداء تمكّن منه وليس يبرحه حتى دعا على نفسه بالموت.

لَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنايَ في القَرِّ والقَيْظِ وهَلْ تَدْمَعُ العَيْنانِ إلاَّ مِنَ الغَيْظِ
فلمّا رأيْتُ الشَّرَّ لَيْسَ ببارِحٍ دَعَوْتُ لنَفْسِي عِنْدَ ذلك بالفَيْظِ[١٢٤]

وقد عثرت السلطات التركية على قبره في أنقرة في محلة خضرلك.

خاتمة:

عاش امرؤ القيس حياة ترف وبذخ في شبابه، حيث كان ابنًا لأحد ملوك كندة، واعتاد على حياة الرفاهية والنعيم التي تميزت بها أسرته. كان يُعرف بميله إلى اللهو والصيد والملذات، وقضى جزءًا كبيرًا من شبابه في التجوال بين الصحاري والوديان للهو والتمتع بالمغامرات. ارتبط امرؤ القيس أيضًا بالنساء، وقد انعكس ذلك في شعره الغزلي الذي اشتهر به، حيث تناول في العديد من قصائده مغامراته العاطفية ووصفه للعشق والجمال. كان ينظم الشعر في مجالس الشراب والطرب، ويعتبر أحد أبرز الشعراء في التغني بالمشاعر الحسية والاحتفال بالمتع الحياتية. إلا أن

[١٢٠] . ديوان امرئ القيس، ٣٥٧.
[١٢١] . ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١٢١/١.
[١٢٢] . ابن العديم، *بغية الطلب في تاريخ حلب*، تحقيق سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، د/ت) ٢٠٢١/٤.
[١٢٣] . ديوان امرئ القيس، ٣٥٧.
[١٢٤] . الفيظ: الهلاك، يقال فاظت نفسه: أي خرجت.

هذه الحياة المليئة بالبذخ والترف تغيرت جذريًا بعد مقتل والده، حيث وجد نفسه مضطرًا لترك حياة اللهو والانغماس في رحلة طويلة للثأر واستعادة ملكه، مما أدى إلى نضوج تجربته الحياتية والشعرية.

أثرت رحلة الانتقام والثأر بعمق في أسلوبه الشعري، حيث مر الشاعر بحوادث صعبة أحدثت تحولًا جذريًا في حياته. فقد انتقل من حياة اللهو والمجون إلى مواجهة قضايا أعمق تتعلق بالحياة والموت والقدر. هذا التغيير جعله يعيش تجربة أكثر جدية وواقعية، وهو ما انعكس بوضوح في الشعر الذي نظمه خلال رحلته.

إن الأحداث الجسيمة التي مر بها الشاعر كانت مليئة بالجدية، ولولا تلك الرحلة لما ذكرها الشاعر أو عرفنا عنها. وقد برزت هذه الجدية في قصيدته الأولى عن الرحلة، حيث افتتحها بمقدمة طللية طويلة تتناسب مع طبيعة السفر والمشاق. فقد اشتد شوقه لصاحبته بعد ابتعاده عن الديار، وعبّر عنها بغزل هادئ ومحتشم، على غير أسلوبه المعتاد. كما نلاحظ أن سعيه للثأر جعله أكثر وفاءً من ذي قبل، إذ واجه الصعاب وتحمل المتاعب بدافع الوفاء والإخلاص.

أظهر الشاعر – من خلال القصائد التي نظمها أثناء رحلته – براعة فائقة في التنقل بين الموضوعات بأسلوب راقٍ، مما يدل على أنه لم يكن محصورًا في قالب شعري واحد، وكان كل هذا نتيجة لرحلة البحث عن الملك التي قادته إلى مواجهة تحديات متنوعة أثرت في شعره.

المصادر والمراجع

الأصفهاني: أبو الفرج، *الأغاني*. تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس. بيروت: دار صادر، ط٣، ٢٠٠٨م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، ١٩٩٧م.

ابن قتيبة، عبد الله بن عبد المجيد. *الشعر والشعراء*. القاهرة: دار الحديث.١٤٢٣هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. *البداية والنهاية*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٩٧م.

ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤ هـ.

الجمحي، ابن سلام. *طبقات فحول الشعراء*. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٤م.

جمعة، حسين سلمان. " رحلة امرئ القيس إلى القسطنطينية بين الواقع والخيال". *مجلة التراث. العربي* سوريا. العدد ٣٤، (يناير، ١٩٨٩م)، ٨٩-١٠٠.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، *الأعلام*، بيروت: دار العلم للملايين. ط١٥، ٢٠٠٢ م.

الزَّوْزَني، حسين بن أحمد بن حسين. *شرح المعلقات السبع*. دار احياء التراث العربي. بيروت: ط١، ٢٠٠٢ م.

زيدان، جرجي. *تاريخ آداب العربية*. القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٧م.

السكري، أبو سعيد. *شرح ديوان امرئ القيس*، تحقيق أنور عليان أبو سويلم ومحمد علي الشوابكة. الإمارات العربية- العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م.

السندوبي، حسن. *شرح ديوان امرئ القيس*. تحقيق: أسامة صلاح الدين. بيروت: دار إحياء العلوم، ط١، ١٩٩٠م.

السيوطي، جلال الدين. *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. تحقيق فؤاد علي منصور. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم. *أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيارات من الشعراء الجاهلي*. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٩٨٣.

ضيف، شوقي. *تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي*، القاهرة: دار المعارف، ط١١، ١٩٦٠-١٩٩٥.

علي، جواد. *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام* بغداد: المجمع العلمي العراقي. د/ت.

عمارة، أحمد. *دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وذوق*. مكتبة المتنبي، د/ت.

امرؤ القيس، *ديوان امرؤ القيس*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ط٥، د/ت.

مكي، الطاهر أحمد. *امرؤ القيس حياته وشعره*. القاهرة: دار المعارف، ط٦، ١٩٩٣م.

الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. *تهذيب اللغة*، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الرومي. *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. *تاريخ اليعقوبي*. طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل المسيحية: ١٨٨٣م.

**KAYNAKÇA**

Amare, Ahmed. *Dirâsa fî Nuṣûṣil-ʿAṣril-Câhilî*. Suudi Arabistan: Mektebetü'l-Mütenebbî, 2023.

Bağdâdî, Abdulkâdir b. 'Umer. *Ḫizânetu'l-Edeb ve Lubbu Lubâbi Lisâni'l-ʿArab*. thk: Abdusselâm Muhammed Hârûn. Kahire: Dâr Mektebeti'l-Ḫâncî, 1418/1997.

Cevad, Ali. el-Mufassal fi Tarihi'l-Arab Kable'l-İslam. Bağdat: Daru'l-Mücemmiʿ el-ʿİlmî el-ʿIrâkî, ts.

el-Cumahî, İbn Sellâm. *Tabakātü'ş-şuarâ*. thk: Mahmud Muhammed Şakir. Kahire: Matbaatü'l-Medenî, 1974.

Dayf, Şevkî. *Tariḫu'l-Edebi'l- 'Arabi*. Kahire: Dâru'l-Ma'ârif, 1995.

el-Herevî, Muhammed b. Ahmed. *Thezîbu'l-Luğa*. thk: Muhammed 'Avaḍ Mur'ib. Beyrut: Dâr İhyâ-i't-Turâsi'l-'Arabî, 2001.

el-İsfahani, ebu'l-Ferec. *el-Ağani*. thk: İhsan Abbas, İbrahim Es-Saafin, ve Bekr Abbas. Beyrut: Dar Sadir, 2008.

İbrahim, Muhammed Ebu'l-Fazl. *Tahkīk Dîvânu İmru'ul-Kays*. Kahire: Darü'l-Maarif, ts.

İbn Manzûr, Muhammed b. Mukerrem b. Alî. *Lisânu'l-'Arab*. Beyrut: Dâr Ṣâdır, 1414.

İbn Kesîr, Ebû'l-Fidâ' İmâduddîn İsmâil b. Şihâbiddîn. *el- Bidâye ve n'-Nihâye*. Beyrut: Dâru'l- Fikr, 1407/1986.

İbn Kuteybe, Abdullâh b. Muslim b. Ḳuteybe ed-Dîneverî. *eş-Şiʿr ve'ş-Şuʿarâʾ*. Kahire: Dâru'l-Ḥadîs, 1423.

İbn Sellâm, Muhammed b. Sellâm b. 'Ubeydillâh el-Cumaḥî. *Ṭabaḳâtu Fuḥûli'ş-Şuʿarâʾ*. thk: Mahmûd Muhammed Şâkir. Cidde: Dâru'l-Medenî, ts.

Mekki, Tahir Ahmed. *İmru'l-Kays: Hayatuhu ve Şiiruhu*. Kahire: Darü'l-Maarif, 6. Baskı, 1993.

es-Sendubî, Hasan. *Şerḥu Dîvâni İmriʾilḳay*. thk: Usame Salahuddin. Beyrut: Daru İhyaü'l-Ulum, 1. Baskı, 1990.

es-Sükkerî, Ebû Saîd. *Şerḥu Dîvâni İmriʾilḳays*. thk: Enver Aliyan, Ebu Süviylim ve Muhammed Ali eş-Şevabike. Birleşik Arap Emirlikleri - Ayn: Şeyh Zayed Tarih ve Miras Merkezi, 2000.

Suyûtî, Celâluddîn. *el-Muzhir fî 'Ulûmi'l-Luğa*. thk: Fuâd Alî Menṣûr. Beyrut-Lübnan: Dâru'l-kütübi'l-'ilmiyye, 1418/1998.

Yâkût el-Hamevî, Şihâbuddîn b. Abdullah er-Rûmî. *Mu'cemu'l-Buldân*. Beyrut: Dâr Ṣâdır, 1995.

ez-Zevzeni, Hüseyin bin Ahmed bin Hüseyin. *Şerhu'l-Muallakat-i's-Seb'a*. Beyrut: Daru İhyaü't-Turas, 2002.

Ziriklî, Hayreddîn b. Mahmud. *el-A'lâm*. Beyrut-Lübnan: Daru'l-İlim Lilmalayîn, 2002.

Yakubî, Ahmed bin Ebu Yakub. *Târîḫu'l-Yaʿḳūbî*. Leiden: Brill Yayınları, 1883.